

صاحب الجلالة يقيم مأدبة عشاء على شرف فخامة الرئيس البرتغالي

أقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، محفوا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد يوم 17 محرم 1419هـ الموافق 14 ماي 1998م، حفل عشاء تكريما لفخامة الرئيس البرتغالي السيد جورج سامبايو الذي قدم بزيارة رسمية لبلادنا .
وبهذه المناسبة ألقى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الكلمة السامية التالية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،
فخامة السيد رئيس الجمهورية البرتغالية،

أصحاب المعالي،

ساداتي سيداتي،

بكمالي الأينهاج والخفاوة نستقبلكم فخامة الرئيس. السيد جورج سامبايو، معربين لكم عن ترحيبنا ومشاعر تقديرنا وعمما نكنه للشعب البرتغالي من تقدير واعتبار بوصفه شعبا عربقا في التاريخ مساهما في الحضارة الإنسانية بحظ غير قليل.

إن زيارة المسؤولين البرتغاليين للمغرب في السنوات الأخيرة لم تكن مجرد حدث عابر يندرج في إطار التكريفات والجماعات، وإنما هي أكثر من ذلك، كما يتأكد ذلك من خلال زيارتكم اليوم، هذه الزيارة التي تأتي في سياق متميز لعدة اعتبارات.

ولا بد لي في البداية من التنويه بالنجاح الذي حققه بلدكم الذي أسكنه

فى أقل من ربع قرن أن يوفق بين إنجاز تحول ديموقراطي وصين بدون ارتباك أو تردد وبين إقلاع اجتماعى واقتصادى مشير للإعجاب يوحى لكل الملاحظين بأن البرتغال ستهب مكانة مرموقة فى مطلع الألف المقبلة بين دول الاتحاد الأوروبى.

أجل، إنه بهذا الإنجاز قد تلاشت الصورة التي كانت تبدو من خلالها البرتغال حتى ستينيات هذا القرن وكأنها أمة قسوة يماضيها المجيد وتعيش على هامش العصرنة، لتحل محلها صورة تفرض فيها البرتغال وجودها باعتبارها من البلدان الأوروبية الجلية فى مضمار التنمية والتقدم. وهذا ما نؤكد: كل المعايير المصطلح عليها فى هذا المجال نسبة النمو التي تصل إلى 4 فى المائة المتوقعة هذه السنة والنسبة التي لا تزيد على 7 فى المائة فى البطالة ونسبة التضخم التي لا تتعدى 2 فى المائة، كلها مؤشرات بأن البرتغال ستلج القرن المقبل بثائق. فخامة الرئيس،

إن البرتغال لىبى الذي أبجروا فى أعالي المحيطات واكتسبوا ثقافة جغرافية بحرية رائدة وأتقنوا فنون الملاحة بشرا السفن العابرة للمحيطات واكتشف الملاحون العظام منهم أمثال هنري الملح وفاسكو دي جاما، شواطئ إفريقيا الشرقية والجنوبية عبر رأس الرجاء الصالح، ووصلوا إلى شواطئ الهند الشرقية والغربية وإلى البرازيل، لم يأتأ لهم ذلك لولا إرادة صلبة وطموح كبير وتقنيات عالية. وقد اكتسبوا من غير شك إلى جانب هذه المؤهلات الذاتية ثقافة العالم القديم وحضارة العالم الوسيط. وإن المعرض العالمى لعاصمة بلدكم لشبونة سيرهو، كما أعتقد ذلك، بإظهار تلك المؤهلات المدهشة والإرادة الجماعية لشعبكم ولما حققه من إنجازات بفضل سياسة قادته المحنكين.

وهكذا سيؤكد البرتغال للعالم بأن (السويداء) هذا اللامحدود من روح الاندفاع والمغامرة في خضم البحر والحنين إلى أعماقها والانطواء الذاتي مما كان يطبع نفسية البرتغاليين، كل ذلك قد ترك مكانه اليوم للطموح والشموخ والعمل الدؤوب من أجل تحقيق بعد حضاري جديد لشعبكم على عتبة القرن المقبل.

فخامة الرئيس،

لقد استحضرت في مستهل هذا الخطاب الميثاق المتميز للثقات هذا المساء بالنسبة للبرتغال. أما بالنسبة لنا في المغرب، فإن علاقتنا الثنائية قد عرفت وثبة تروعية منذ زبارة الدولة التي قمت بها لبلدكم في شتنبر 1993، فقد تكون لدينا شعور يومئذ بأنه بإمكاننا تحقيق أفضل مثاق للنعاون بين بلدين جارين، وهو ما أكدته السترات الخمس الأخيرة، وإن معاهدة الصداقة التي وقعناها سنة 1994 لتعتبر بمثابة العمود الفقري والأساس المرجعي لكل ما جاء بعدها من لقاءات مكثفة ومستمرة لرؤساء حكومتنا البلدين ولكل الاجتساعات التي قامت بها اللجان المتخصصة.

وكم نحن سعداء أن نلاحظ أن لا يمضي شهر أو شهران بدون أن يقوم وزير مغربي بزيارة عمل للبرتغال أو يستقبل وزير من الحكومة البرتغالية بالرباط. فهذه اللقاءات المنتظمة تشكل إطاراً رقيقاً لجعل تعاوننا الاقتصادي والتجاري ينمو ويتنوع. لكن يبقى مع ذلك أن ميزاننا التجاري ما يزال بالنسبة للمغرب غير متوازن وإن كنا نسجل أنه خلال السنوات الخمس الأخيرة قد عرفت مبادلاتنا نمواً بنسبة 100 بالمائة وأن هذا النمو له دلالة الكمية والترعية.

إن هذا التطور الملحوظ - فخامة الرئيس - قد تقرى بفضل المنحى

الإيجابي الذي أخذته الاستثمارات البرتغالية بالمغرب وقد لاحظتم من غير شك خلال زيارتكم هاته، أن المفاوضات البرتغالية قد حققت خلال الأشهر الأخيرة حضوراً ملحوظاً. بيد أنه يتعين علينا أن نستثمر على أفضل وجه ممكن التوافق السياسي والتعاون الاقتصادي والتجاري داخل مجالنا الإقليمي وندعم كل مبادراته حتى نشارك المسافة الفاصلة بين واقع هذا التعاون وبين ما نطمح إليه بالنظر إلى ما تتوفر عليه جميعاً من إمكانات وطاقات وإرادة ثابتة، لاسيما ونحن نتقاسم ميراثاً ثقافياً وتراثياً لم تتل منه تقلبت الدهر. إنه تراث شعبين ظل وجدان كل منهما تجاه الآخر حياً بفعل ذاكرة مشتركة خالية من الأحكام المسبقة ومن عقد الاستعلاء أو الإحباط.

فخامة الرئيس،

منذ أكثر من شهر تقريبا تأهلت البرتغال ضمن مجموعة البلدان الأوروبية الإحدى عشرة القابلة للتعامل بالأورو. وهو تأهيل كما لاحظت ينطوي على مؤشرات أكثر إيجابية مما لعدد من الدول الأخرى الأكثر تصنيهاً في الاتحاد الأوروبي، وهذا يعني مدى الأهمية التي يعبرونها لتعزيز هذا الاتحاد والمؤهلات التي تتوفرون عليها من أجله. ومن جهة أخرى، فإننا واعون تماماً بكون البرتغال لم يفض الطرف ولم يتجاهل في أية لحظة في سياق المحضر داخل الاتحاد الأوروبي، ما ينبغي عمله تجاه المغرب أو تجاه دول جنوبي المتوسط. نعم، تعلم مدى المسافة التي يجب اجتيازها لتحقيق تعاون أوسع مع الاتحاد الأوروبي ولكننا نلك نفس الاقتناع بأنه لا سبيل لنا إلا المضي قدماً في تحقيق ذلك.

إن جوارنا داخل منطقة ذات أهمية استراتيجية وجيوبالية بالغة الأهمية بالنسبة للأمن المتوسطي يولي علينا معاً نفس المسؤولية كما يملأ

نفوسنا بنفس الانشغالات. وقد اقتنعنا منذ البداية بأنه لا يمكن قيام أوروبا مغلقة على نفسها أو أوروبا بدون فضاءات للتعاون ولا للانفتاح على الجيران المباشرين، الأمر الذي أكدته إعلان برشلونة سنة 1995 ووضعت مبادئه وقواعده قمة لشبونة إثر ذلك. وهكذا يبدو أنه لا خيار أمامنا إلا بناء شراكة مبدعة وصداقة بين دول شاطئ البحر الأبيض المتوسط تحتزم هويات ومصالح الجميع.

كما أننا نعلم أنه مهما تكن المؤهلات التي لكل منا والميولات المختلفة، فإن نشدان الاتحاد الأوروبي لأي رخاء مستقر ومستعمر في أوروبا لا يمكن أن يتحقق مع بقا، شطر الجنوب المتوسطي هش البنيات منزوبا عن الشمال محكوما بالظرفيات المتقلبة والضروريات ذات المدى المحدود.

ومن ناحية أخرى، فإن منطقتنا تخبئ عليها شكوك وتهديدات أكثر خطورة وأدعى للانشغال فيما يتعلق بمسلسل السلام في الشرق الأوسط. فبلدان معا -قذامة الرئيس- يعملان من أجل أن تنعم منطقة المتوسط بالسلم. غير أن القرارات رقم 242 و 338 وكذا الأوافق المبرمة في كل من مدريد وأوسلو وواشنطن التي أقرت مبدأ الأرض مقابل السلام، والتي ألفت على الحكومة الإسرائيلية تبعات تنفيذها، تراها اليوم وقد وقع النكر لها من جانب تلك الحكومة. وهو نكر لا يمكن قبوله. وعلى الأسرة الدولية اتخاذ ما ينبغي لانقاذ هذا المسلسل. فالإسرائيليون والفلسطينيون واليهود والمسلمون ليس أمامهم سوى التعايش والتعاون والاحترام المتبادل. وهذا هو القدر المقدر للمنطقة بحكم سن التاريخ وهو ما تلمبه الأديان السماوية نفس. وعلى الحكومة الإسرائيلية أن تتذكر هذه الحقيقة التاريخية والدينية قبل قوات الأوان ونأزم الأرضاع بكيفية مأساوية.

فخامة الرئيس،
أصحاب المعالي،
ساداتي سيداتي،

إن مجال التقاء توجهاتنا وتعاوننا لشيع ومديد. وهو أيضا مجال
للتعبير عن عبقرية بلدينا وشعبيت على السواء، بالنظر إلى إمكاناتها ثراء
وحضارة. وفي هذا السياق أود أن أختتم خطبي بإقتباس من الكاتب
والشاعر البرتغالي الكبير فرناندو بيرغوا الذي قال مرة: «إن جميع الشعوب
لها عبقرياتها وكل أمة لها في حد ذاتها سرها الخفي الذي يحركها». وأنا
أضيف إلى هذه الكلمة الرامزة إلى الهوية الوطنية بعدا تكيليا، وهو أن
عبقرية كل من الشعبين المغربي والبرتغالي تكمن في أن كل منهما يدرك
بصورة تلقائية كيف يحافظ على وجوده حضاريا عن طريق قدرته على
استعادة وعيه بذاته واحترام تقاليده والاهتداء الفطري إلى ما يجب عمله
كلما اقتضت المرحلة التاريخية ذلك.

ومن أجل الرخاء لكل من بلدينا ومن أجل سعادتك الشخصية فخامة
الرئيس. ومن أجل تجديد عبارات الترحيب بكم وبأعضاء الوفد المرافق لكم،
أطلب من الجميع الوقوف احتراما لشخصكم معبرا عن كامل غمطتي
وسعادتي مرة أخرى باستقبالكم في المغرب.
عاش البرتغال - عاش المغرب.